هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الانتصار على الذات

ليست إرادة الحق فى عرفكم ، أيها الحكماء ، إلا تلك القوة التى تحفزكم وتضطرم فكم ، تلك هى إرادتكم التى أسميها أنا (إرادة تصور الوجود) فانكم تطمحون إلى جعل كل موجود خاضعا لتصوركم ، وأنتم تحاذرون بحق أن يكون هذا الوجود قد أحاط به التصور من قبل فتريدون أن تخضعوا لارادتكم كل كائن لتتحكموا فيه بالصقل ليصبح مرآة تنعكس عليها صوره العقل

هـذا ما تطمحون إليه ، يا أحكم الحكماء ، وتلك هى إرادتكم تجاه القوة والخير والشر وتقدير قيم الأشياء .

انكم تريدون خلق عالم يمكن لكم أن تجثوا أمامه ، تلك هى نهاية نشوتكم وآخر أمنية لكم . ولكن البسطاء الذين يدعون شعبا يشبهون نهراً تخوضه أبداً ماخرة ثقل الشرائع ، وقد جلسن عليها بعظمة وأنزلن على وجوههن الحجاب .

لقد أرسلتم إرادتكم وشرعتكم على نهر الزمان ، ولكن إرادة القوة مثلت أمامى وكشفت لى حقيقة الخير والشر فى اعتقاد الشعوب

وهل سواكم ، أيها الحكماء ، من أنزل بارادته المتسلطة هذه الشرائع فى هذه الماخرة وقد حليتموهن بالجواهر وأسبغتم عليهن أروع الأسماء .

لقد سار النهر يحملهن بانسيابه وسهم الماخرة يشق أمواجه ومن يبالى بالموجة تقاوم عبثاً فى إرغائها وإزبادها .

إن الخطر الذى يتهدد خيركم وشركم لا يكمن فى النهر ، أيها الحكماء ، بل الخطر كل الخطر فى إرادة القوة نفسها لأنها الارادة الحية الدائمة المبدعة .

ان ماسأقوله عن الحياة سيوضح لكم اعتقادى فى الخير والشر عند ما أتناول ببيانى ما تفعل العادات فى الأحياء .

لقد سايرت الكائن الحى على معابره وأشواطه لأتعرف إلى عاداته ، وعند ما كانت الحياة صامتة نصبت أمامها مرآة بألف ضلع لأستنطق عينيها فكلمتنى لحاظها .

فى كل مكان عثرت فيه على حى ، طرقت أذنى كلمات الطاعة فما من حى يتعالى عن الخضوع ، وعرفت أيضاً أن ليس من محكوم فى الحياة سوى من لا قبل له بإطاعة نفسه ... تلك هى عادة كل حى ..

وهذا ما سمعت أخيراً : إن تولى الحكم أصعب من الطاعة لأن الآمر يحمل أثقال جميع الخاضعين له وكثيراً ما ترهق هذه الأثقال كواهل الآمرين .

إن فى أمر خطراً ومجازفة ، وكل مرة يصدر الحى فيها أمراً — يقتحم خطرا .

وإذا ما تحكم الحى فى ذاته فانه يؤدى جزية لسلطانه إذ يصبح قاضياً ومنفذاً وضحية للشرائع التى يسنها .

وتساءلت عن علة هذه الأمور وعن القوة التى ترغم الحى على الانقياد والتحكم فتجعله خاضعاً حتى إذا حكم . ولعلى توصلت إلى سبر قلب الحياة إلى الصميم ، فاصغوا إلى قولى أيها الحكماء .

لقد تيقنت وجود إرادة القوة فى كل حى ورأيت الخاضعين أنفسهم يطمحون إلى السيادة لأن فى إرادة الخاضع مبدأ سيادة القوى على الضعيف ، فارادة الخاضع تطمح إلى السيادة أيضاً لتتحكم فيمن هو أضعف وتلك اللذة الوحيدة الباقية لها فلا — تتخلى عنها .

وبما أن الأضعف يستسلم للأقوى والأقوى يتمتع بسيادته على هذا الأضعف فان الأقوى يعرض نفسه للخطر فى سبيل قوته فهو يجازف بحياته مستهدفا للأخطار .

إن إرادة القوة كامنة حتى فى مجال التضحية والخدمة المتبادلة وبين نظرات العاشقين لذلك يتجه الأضعف إلى السبل الملتوية قاصدا اجتياز الحصن والتربع فى قلب الأقوى مستولياً فيه على قوته

لقد أودعتنى الحياة سرها قائلة : لقد تحتم على أن أتفوق أبدا على ذاتى . وانكم لتحسبون هذا الاندفاع إرادة إبداع أو غريزة تحفزنى إلى الهدف الأسمى والأبعد منالا بعديد جهاته ، فى حين أن ليس هنالك إلا وجهة واحدة وسر واحد . وإنى لأفضل — العدم على التحول عن هذه الوحدة .

والحق أنكم حيث تشهدون انحدارا وسقوط أوراق من الأدواح ، فهنالك تشهدون تضحية الحياة من أجل القوة .

لقد وجب على أن أكون أنا الجهاد والمستقبل والهدف وأن أكون فى الوقت نفسه الحائل الذى يعترضنى فى انطلاق إلى هدفى لذلك لا يعرف الانسان الطريق المتعرجة التى عليه أن يسلكها إذا هو لم يدرك حقيقة إرادتى .

مهما كان الشى الذى أبدعه ولو مهما بلغ حبى له فان على أن

أنقلب له خصما ، وأتحول عن حبي وحناني ، ذلك ما قضته إرادتي علي

وأنت ، أنت يا من تطلب المعرفة ايس لك من سبيل غير سبيلي فعليك أن تقتفي أثر إرادتي ، وما تقتفي إرادتي إلا آثار إرادة الحق

ما عثر على الحقيقة من قال بارادة الحياة ، لأن مثل هذه الارادة لا وجود لها ، وليس للعدم إرادة كما أن المتمتع بالحياة لا يمكنه أن يطلب الحياة

ولا إرادة إلا حيث تتجلى حياة ، ومع هذا فان ما أدعو إليه إن هو إلا إرادة القوة لا إرادة الحياة

ان هنالك أموراً كثيرة يراها الحي أرفع من الحياة نفسها ، وما كان ليرى أشياء أفضل من الحياة ، لو لم تكن هنالك إرادة القوة .

هذا ما علمتني إياه الحياة يوماً ، وأنا بهذا التعليم أهتك أسرار قلبكم ، أيها الحكماء ، فأقول لكم : إنه ليس هنالك من خير دائم وشر دائم ، لأن على الخير والشر كليهما أن يندفعا أبداً إلى التفوق والاعتلا

وأنتم أيها الواضعون للقيم أقدارها بمقاييسكم وأوزانكم وبما تقولونه عن الخير والشر هل كان لكم أن تفعلوا هذا لو لم تكن لكم إرادة القوة ؟ وما تطمحون في أعماق ضمائركم إلا إلى الشهرة والشعور بتأثركم وفيضان أرواحكم . ولكم تجهلون أن في الأمور التي تخضعونها لتقديركم قوة أعظم من تقديركم تنمو وتتفوق على ذاتها لتحطم غلافها وقشورها ، فمن أراد أن يكون مبدعا سواء أكان في الخير أو في الشر فعليه أن يبدأ بهدم ما سبق تقديره وبتحطيمه تحطيما . وهكذا فان أعظم الشر يبدو جزاء من أعظم الخير ، ولكن هذا الخير لم يعط إدراكه إلا للمبدعين

لقد حق علينا القول أيها الحكماء ، مهما كلفنا الجهر به فان الصمت أشد وطأة علينا ، لأن كل حقيقة نكتمها انما تتحول إلى سم زعاف فينا ، فلنحطم الحقائق التي نجهر بها ما يمكننا أن تحطم فان هنالك أبنية عديدة يجب علينا أن نرفعها

هكذا تكلم زارا . . .

العظمار

إن في بحراً هدأت أعماقه ، فمن يظن أنه يخفي مسوخا دأبها المزاح ؟ إن أغواري صامدة لا تتزعزع ، غير أنها تتماوج بالمعميات وتجاوب فيها من الضحك نبرات وأصداء .

رأيت اليوم رجلا من العظماء الأجلاء الذين يكفرون من أجل الروح . فاستغرقت روحي في ضحكها هازئة بقبحه . غير أن هذا العظيم لم يبد ولم يعد . بل انتفخ صدره كمن يتنفس الصعداء ، فلاح لي بحقائقه المروعة وبأثوابه الممزقة غصنا كله أشواك وليس فيه ورد .

ما تعلم هذا القناص الضحك ولا عرف الجمال ، فانه راجع من غاب المعرفة أغبر الوجه بعد أن صارع فيها الوحوش فانطبعت صورهم على سيماه ، فهو كالثور يتحفز للوثوب ، وما أحب مثل هذه الأرواح المنقبضة على ما تضمر .

تقولون ، أيها الصحاب ، إنه لا جدال في الذوق وفي الالوان فكأنكم تجهلون أن الحياة بأسرها نضال من أجل الأذواق والألوان .

ما الذوق إلا الموزون والميزان والوازن . . . فويل لكل حي يريد أن يعيش دون نضال من أجل الموزونات والموازين والوازنين

ليت هذا الرجل العظيم يتعب من عظمته ليظهر الجمال فيه فانه في ملاله من هذه العظمة يستحق أن أتذوقه فأجد له طعما .

اذا لم يتحول العظيم عن نفسه فلا يمكنه أن يقفز فوق خياله لتغمره أشعة شمسه . لقد تفيأ الظل طويلا ، هذا المفكر من أجل الروح ، فشحب وجهه وكاد في انتظاره أن يموت جوعا ، وهذه عيناه تشعان بالاحتقار وشفتاه تتبرمان بالاشمئزاز ، انه يلتمس الراحة الآن ولكنه لم ينطرح تحت الشمس بعد .

ليت هذا الرجل يتمثل بالثور فيفوح من سعادته عبق الأرض لا احتقار الارض . ليته كالثور الابيض يعج أمام المحراث فيرتفع عجيجه تسبيحا للأرض وما عليها .

لقد كفهر وجه هذا العظيم إذ تلاعبت على خديه أظلال يده فاختفت عيناه . وأعماله نفسها لم تزل كالخيال تلوح ولا تبدو عليه . فان اليد ترسل ظلا قاتما على العامل إذا هو لم يتفوق على عمله

إني أقدر احتمال هذا الرجل لنير الثور ولكنني أتمنى أن تشع نظرات الملاك في عينيه ، ولن تشع هذه النظرات ما لم ينس ما فيه من إرادة الأبطال . لان ما أريد له هو أن يصير رجلا ساميا لا أن يبقى في مرتبة الرجل العظيم حيث يفقد الانسان إرادته فتتلاعب به أضعف النسمات .

لقد تغلب هذا العظيم على الجبابرة وتوصل إلى حل الرموز ولكن عليه الآن أن ينقذ هذه الجبابرة وهذه الرموز ليحولها إلى طفولة الألوهية .

إن معرفة هذا الرجل لم تعلم الابتسام ولا الترفع عن الحسد كما أن موجة شهواته لم تسكن في خضم الجمال . وما عليه أن يدفع

(البقية في ذيل الصفحة التالية)